

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس ٨ : التابعي أبو مسلم الخولاني .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-١٢-٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

فضيلة الشيخ

عندما نتحدث عن هذه الشخصية الفذة التي ملأت الدنيا عدلاً و مثالية و روعة في كل مجالات الحياة، اليوم بين أيدينا شخصية متميزة، أبو مسلم الخولاني، تابعي جليل، لنبدأ الحديث لو سمحتم.
الأستاذ جمال،

طارت الأخبار في جزيرة العرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نقل عليه المرض بعد عودته من حجة الوداع، فسوه الشيطان للأسود العنси أن يعود للكفر بعد الإيمان، وأن يفترى على الله الكذب، فيزعم لقومه في اليمن أنه نبيٌّ مرسل من عند الله، و كان الأسود العنси رجلاً شديد المرة، قوي البنية، أسود النفس، مستطير الشر، قد أتقن الكهانة في الجاهلية، و حذق الشعوذة على الناس، و كان إلى ذلك فصيح اللسان رائع البيان، ذكي الفؤاد، قادرًا على اللعب بعقول العامة بأباطيله، و كسب ولاء الخاصة بهياته و عطاياه، و كان لا يظهر للناس إلا مقنعاً بقناع أسود ليحيط نفسه بهالة من الغموض و الهيبة، وقد انتشرت دعوة الأسود العنسي، في اليمن انتشار الانار في الهشيم، و قد ساعدته على ذلك اتباع قبيلته له، وكانت يومئذ من أكثر قبائل اليمن عدداً و أوسعها نفوذاً و أشدتها بأساً، كما ساعدته على ذلك قدرته على اختراع الكذب و تلقيقه، و استعانته بالأذكياء من أتباعه على ذلك، فقد زعم للناس أن ملكاً من السماء ينزل عليه بالوحى و يخبره بالمغيبات و سلك لإقناع الناس و صحة زعمه هذا مسالك شتى، فكان يبث عيونه في كل مكان ليقفوا له على شؤون الناس و شجونهم، و يكشف عن أسرارهم و أحجارهم، و ينفذ إلى ما يعتاج في خبايا نفوسهم، من الآمال و الآلام، وكان في الوقت نفسه يغرون هؤلاء الناس باللجوء إليه و طلب العون منه، فكانوا إذا جاءواه واجه كل ذي حاجة بحاجته، و بدأ كل صاحب مشكلة بمشكلته، وأراهم أنه مطلع على ما خفي من أسرارهم، واقف ما استتر من خبايا نفوسهم، و أتى أمامهم من العجائب و الغرائب ما يذهل عقولهم، و يحير أبابهم، فما لبث أن عظم أمره - طبعاً عند العامة و السوقـة و دهماء الناس - واستطارت شهرته، وكثر أتباعه، فوثب بهم على صناعـة، ثم وثب من صناعـة إلى المناطق الأخرى، حتى دانت له البلاد الواقعة ما بين حضرموت و الطائف، و ما بين البحرين و عدن، هذا هو الارتداد الذي ظهر قبيل وفاة النبي عليه الصلاة و السلام، و لما استتب الأمر لأسود العنси، و دانت له البلاد و العباد، نشط في تتبع معارضيه، من آتاهـم الله إيماناً راسخاً بدينـه القويمـ، و يقيناً ثابتـاً بنبيـه الكريمـ، و ولاءـ صادقاً للهـ و رسولـهـ، و جهـراً بالحقـ و تصديـاً للباطـلـ، فجعلـ يـبطـشـ بهـمـ فيـ قـسوـةـ قـاسـيةـ، و يـنزلـ بهـمـ أـشـدـ النـكـالـ، و كان

في طبعة هؤلاء عبد الله بن ثوب المكنى بأبي مسلم الخولاني، صاحب هذا اللقاء - هو محور حديثنا في هذا اليوم أبو مسلم الخولاني، فكان أبو مسلم الخولاني رجلاً صلباً في دينه، قوياً في إيمانه، عنيداً في الجهر بالحق، قد أخلص نفسه لله، فأعرض عن الدنيا و زينتها، زهد في زخرف العيش و متاعه، و نذر حياته لطاعة الله و الدعوة إليه، وباع الفانية بالباقي، بيع السماح، فأحله الناس من نفوسهم منزلة رفيعة، ورأوا فيه رجلاً طاهراً النفس والنفس، مستجاب الدعوة عند الله، وقد أراد أسود العنси أن يبيطش بأبي مسلم بطشه جباراً تبت الهلع والجزع في نفوس معارضي دعوته في السر و العلن، يقمعهم قمعاً.

أستاذ جمال

قال تعالى:

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (٨١)

[سورة الإسراء]

أين هو الآن؟ في مزبلة التاريخ، أما النبي الحق الصادق ما زال اسمه عالياً في السماء، فأمر بالحطب بأن يُكسس في ساحة من ساحات صنعاء، وأن تُضرم فيه النار، و دعا الناس إلى أن يشهدوا استتابة فقيه اليمن و عابدها الأول أبي مسلم الخولاني، وإقراره ببنيته، و في الوقت المحدد قبل الأسود العنسي على الساحة التي اكتظت بالناس اكتظاظاً، و كان يحفّ به طواغيته و كبار أتباعه، و يحوطه حرسه و قادة جنده، فجلس على كرسيه العظيم الذي نصب له قبلة النار، و قيد إليه أبو مسلم الخولاني على مرأى من الناس و مسمع، فلما صار بين يديه نظر إليه الطاغية الكذاب في خيلاء، ثم نظر إلى النار التي تتاجج أمامه في ضراوة، ثم التفت إليه و قال: أتشهد أن محمداً رسول الله، قال: نعم، أشهد أنه عبد الله و رسوله، وأنه سيد المرسلين، وأنه خاتم النبيين أيضاً، فقطّب الأسود العنسي وجهه و زمام حجابيه و قال: و تشهد أني رسول الله؟ فقال: إن في أذني صمم فلا أسمع ما تقول: فقال: إذا أذفك في هذه النار، فقال: أبو مسلم إن فعلت انتقمت بهذه النار التي وقدها الحطب ناراً و قدّها الناس و الحجارة، عليه ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، فقال الأسود: لن أُعجل عليك، و سأتيح لك الفرصة لتراجع عقلك، ثم أعاد عليه السؤال فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال: نعم أشهد أنه عبد الله و رسوله، و انه أرسله بدين الهدى و دين الحق، و ختم رسالته الرسالات، فازداد الأسود حنقاً، وقال: و تشهد أني رسول الله؟ قال أبو مسلم: أما أخبرتك أن في أذني صمم، فلا أسمع مقالتك هذه، فاستنشط الأسود العنسي غيظاً من صرامة إجابته و هدوء نفسه و سكينة جوارحه، و همّ بأن يأمر به فليقى في النار، عندئذ تقدم منه كبير طواغيته، و همس في أذنه قائلاً: إن الرجل كما عرفت طاهراً النفس، مستجاب الدعوة، هذه الفطرة، حتى أداء الله عز وجل يعرفون هؤلاء الصادقين المؤمنين، إن الرجل كما عرفت طاهراً النفس مستجاب الدعوة، و إن الله لن يخذل مؤمناً، لم يخذه في ساعة من ساعات الشدة، وإنك إن أقيمت في النار و نجا الله منها هدمت كل

ما بنيته في لحظة واحدة، و دفعت الناس إلى المفر بنبوتك دفعاً، و إن أحرقته النار ازداد الناس به إعجاباً و إكباراً، و رفعوه إلى مصاف الشهداء، فمُنْ عليه بإطلاق سراحه، و انفه من البلاد و أرَحْ منه و استرَحْ " هذا معنى قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

سورة الحج

اللهم هذا الطاغوت أن يقنع هذا الكذاب بأن يكف عن قتله، و إلقاءه في النار، فأخذ الأسود
بمشورة طاغوته، و أمره بمعادرة البلاد لساعته.

الأستاذ جمال، الذكاء حظ من حظوظ الدنيا الراقية، ولكن حيادي، يوظف الذكاء في الخير كما يوظف في الشر، فإذا وصفنا الأسود العنسي بالذكاء فقد وظفه في الشر، يمّ أبو مسلم الخولاني وجهه شطر المدينة، وكان يمّي نفسه بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو قد آمن به قبل أن تكتحل عيناه برؤيته، و تفرح نفسه بصحبته، لكن ما كاد يبلغ حواشي يثرب حتى بلغه نعيُ النبي صلوات الله و سلامه عليه، وقيام أبي بكر الصديق على خلافة المسلمين من بعده، فحزن على وفاة النبي الكريم حزناً خالطاً سُوِيداء قلبه، بلغ أبو مسلم المدينة وقصد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتقبل على المسجد عقل ناقته قريباً من بابه ودخل إلى الحرم النبوى الشريف و سلم على رسول الله صلوات الله و سلامه عليه، ثم وقف إلى سارية من سورى المسجد وجعل يصلي، فما فرغ من صلاته توجه نحوه عمر بن الخطاب حتى صار أمامه و قال له: من الرجل؟ فقال: من اليمن، فقال: ما فعل الله ب أصحابنا الذي سجر له عدو الله النار فأنجاه الله منها - أخباره وصلت على المدينة - فقال: هو بخير من الله و نعمة، فقال: نشتكى الله أنت هو؟ فقال: بلى، فقل عمر ما بين عينيه و قال: أتدري ما فعل الله بعدو الله و عدوك؟ فقال: كلاماً فقد انقطعت أخباره عنى منذ غادرت اليمن، فقال: قتلته الله على أيدي البقية الباقيه من المؤمنين الصادقين و أزال دولته، و رد اتباعه إلى دين الله، و الحمد لله، فقال: الحمد لله الذي لم يخرجنى من الدنيا حتى قررت عيني بمصرعه و عودة المخدوعين من أهل اليمن إلى أكتاف الإسلام، فقال له عمر: و أنا أح مد الله الذي أرانى في أمة محمد من فعل به كما فعل بخليل الرحمن أبينا إبراهيم عليه السلام، ثم أخذه من يده ومضى به إلى أبي بكر، فلما دخل عليه سلماً عليه بالخلافة و بايعه، فأجلسه الصديق بينه و بين عمر، وطفقاً الشیخان يستعدان مع أبي مسلم خبره مع الأسود العنسي. أقام أبو مسلم الخولاني زماناً بالمدينة المنورة، لزم خلاها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى ما شاء الله له أن يصلي في روضته المطهرة، و أخذ ما وسعه الأخذ عن جلة الصحابة الكرام، من أمثال أبي عبيدة بن الجراح وأبي ذر الغفارى و عبادة بن الصامت و معاذ بن جبل و عوف بن مالك الأشجعى، ثم بدا لأبي مسلم أن يرحل إلى بلاد الشام، وأن يتذذها له مقاماً. يعني أردنا من خلال هذا التابعى الجليل أن نرى مدى عمق الإيمان الذى يتمتع به هذا التابعى، ومدى صلابته فى موقفه، وكيف أن الله عز وجل وصف هؤلاء المؤمنين الصادقين فقال تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمَنِّهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا
بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣)

[سورة الأحزاب]

والحمد لله رب العالمين